

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة الإنسان ٢٩ - ٢ - ١٤٠٣ هـ ٥

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ
الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (١)

سورة الإنسان

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ
 أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
 بَصِيرًا (٢)

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ
إِمَّا كَفُورًا (٣)

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- و قوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) معناه انا أرشدناه إلى سبيل الحق و بيناه له و دللناه عليه.
- و قال الفراء: معناه هديناه إلى السبيل أو للسبيل. و المعنى واحد.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- و قوله (إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) قَالَ الْفَرَاء: معناه إن شكر و إن كفر علي الجزاء و يجوز أن يكون مثل قوله (إِمَّا يَعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) «٣»
- (٣) سورة ٩ التوبة آية ١٠٧

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- والمعنى اما يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى و الاعتراف بنعمه فيصيب الحق، و اما أن يكفر نعمه و يجحد إحسانه فيكون ضالا عن الصواب،

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- و ليس المعنى انه مخير في ذلك، و إنما خرج ذلك مخرج التهديد، كما قال (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ) «٤» بدلالة قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) و إنما المراد البيان عن انه قادر عليهما فأيهما اختار جوزى بحسبه.

- (٤) سورة ١٨ الكهف آية ٢٩

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

• و في الآية دلالة على انه تعالى قد هدى جميع خلقه المكلفين، لأن قوله (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) عام في جملتهم و ذلك يبطل قول المَجْبِرَةِ: إن الله لم يهد الكافر بنصب الدلالة له على طريق الحق و اجتناب الباطل،

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

• و ليس كل من ترك الشكر كان كافراً، لأنه قد يترك في بعض الأحوال على سبيل التطوع، لان الشكر قد يكون تطوعاً كما يكون واجباً، و إنما لم يذكر الله الفاسق، لأنه اقتصر على أعظم الحالين و ألحق الأدون على التبع، و يجوز أن يدخل في الجملة، و لا يفرد، فليس للخوارج أن يتعلقوا بذلك في انه ليس بين الكفر و الايمان واسطة.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- قوله تعالى: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» الهداية بمعنى إراءة الطريق دون الإيصال إلى المطلوب والمراد بالسبيل السبيل بحقيقته معنى الكلمة وهو المؤدى إلى الغاية المطلوبة وهو سبيل الحق.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- و الشكر استعمال النعمة بإظهار كونها من منعمها و قد تقدم في تفسير قوله تعالى: «و سيجزي الله الشاكرين»: آل عمران: ١٤٤ إن حقيقة كون العبد شاكرًا لله كونه مخلصًا لربه،
- و الكفران استعمالها مع ستر كونها من المنعم.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- و قوله: «إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» حالان من ضمير «هَدَيْنَاهُ» لا من «السَّبِيلِ» كما قاله بعضهم، و «إِمَّا» يفيد التقسيم و التنويع أى إنا هديناه السبيل حال كونه منقسما إلى الشاكر و الكفور أى أنه مهدي سواء كان كذا أو كذلك.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- و التعبير بقوله: «إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» هو الدليل **أولاً**:
على أن المراد بالسبيل السنة و الطريقة التي يجب على الإنسان أن يسلكها في حياته الدنيا لتوصله إلى سعادته في الدنيا و الآخرة و تسوقه إلى كرامة القرب و الزلفى من ربه و محصله الدين الحق و هو عند الله الإسلام.
- و به يظهر أن تفسير بعضهم السبيل بسبيل الخروج من الرحم غير سديد.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- و **ثانياً**: أن السبيل المهدى إليه سبيل اختياري و أن الشكر و الكفر اللذين يترتبان على الهداية المذكورة واقعان في مستقر الاختيار للإنسان أن يتلبس بأيهما شاء من غير إكراه و إجبار كما قال تعالى: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ»: عبس: ٢٠.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

• وما في آخر السورة من قوله تعالى: «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» إنما يفيد تعلق مشيئة تعالى بمشيئة العبد لا بفعل العبد الذي تعلقت به مشيئة العبد حتى يفيد نفي تأثير مشيئة العبد المتعلقة بفعله، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى في هذا الكتاب مرارا.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

• و الهداية التي هي نوع إيدان و إعلام منه تعالى للإنسان
هداية فطرية هي تنبيه بسبب نوع خلقته و ما جهز به
 وجوده بإلهام من الله سبحانه علي حق الاعتقاد و صالح
 العمل قال تعالى: «و نَفْسٍ و مَا سَوَّاهَا فَالْتَمَّهَا فُجُورَهَا و
 تَقْوَاهَا»: الشمس: ٨ و أوسع مدلولاً منه قوله تعالى: «فَأَقِمْ
 وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا
 تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمُ»: الروم: ٣٠.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

• و **هداية قولية** من طريق الدعوة يبعث الأنبياء و إرسال الرسل و إنزال الكتب و تشريع الشرائع الإلهية، و لم يزل التدبير الربوبي تدعم الحياة الإنسانية بالدعوة الدينية القائم بها أنبياءه و رسله، و يؤيد بذلك دعوة الفطرة كما قال: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ - إِلَى أَنْ قَالَ - رَسَلْنَا مَبشَرِينَ وَ مَنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ»: النساء: ١٦٥.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

• و من الفرق بين الهدايتين أن الهداية الفطرية عامة بالغة لا يستثنى منها إنسان لأنها لازم الخلقة الإنسانية و هي فى الأفراد بالسوية غير أنها ربما تضعف أو يلغو أثرها لعوامل و أسباب تشغل الإنسان و تصرفه عن التوجه إلى ما يدعو إليه عقله و يهديه إليه فطرته أو ملكات و أحوال رديئة سيئة تمنعه عن إجابة نداء الفطرة كالعناد و اللجاج و ما يشبه ذلك

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَغَشَاوَهُ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ»: الجاثية: ٢٣،
- و الهداية المنفية في الآية بمعنى الإيصال إلى المطلوب دون إراءة الطريق بدليل قوله: «وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ».

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- و أما الهداية القولية و هي التي تتضمنها الدعوة الدينية فإن من شأنها أن تبلغ المجتمع فتكون في معرض من عقول الجماعة فيرجع إليها من أثر الحق على الباطل

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

• و أما بلوغها لكل واحد واحد منهم فإن العلل و الأسباب التي يتوسل بها إلى بيان أمثال هذه المقاصد ربما لا تساعد على ذلك على ما في الظروف و الأزمنة و البيئات من الاختلاف و كيف يمكن لإنسان أن يدعو كل إنسان إلى ما يريد بنفسه أو بوسائط من نوعه؟ فمن المتعذر ذلك جدا.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

- و إلى المعنى الأول أشار تعالى بقوله: «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» فاطر: ٢٤،
- و إلى الثاني بقوله: «لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ» يس: ٦.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

• فمن بلغت الدعوة و انكشف له الحق فقد تمت عليه
 الحجة و من لم تبلغه الدعوة بلوغا ينكشف به له
 الحق فقد أدركه الفضل الإلهي بعده مستضعفا أمره
 إلى الله إن يشأ يغفر له و إن يشأ يعذبه قال تعالى:
 «إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ لَا
 يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا»: النساء: ٩٨.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

• ثم من الدليل على أن الدعوة الإلهية و هي الهداية إلى السبيل حق يجب على الإنسان أن يتبعها فطرة الإنسان و خلقته المجهزة بما يهدى إليها من الاعتقاد و العمل، و وقوع الدعوة خارجا من طريق النبوة و الرسالة فإن سعادة كل موجود و كماله فى الآثار و الأعمال التى تناسب ذاته و تلائمها بما جهزت به من القوى و الأدوات فسعادة الإنسان و كماله فى اتباع الدين الإلهى الذى هو سنة الحياة الفطرية و قد حكم به العقل و جاءت به الأنبياء و الرسل عليهم

السلام.

إِنَّا أَخَذْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَابِلًا وَ
أَغْلَالًا وَ سَعِيرًا (٤)

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ
كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)